غادة شبير في الإنشاد الديني ضمن مهرجان البستان

ابتهالات دافئة من التراث الليتورجي

دير مار انطونيوس خشباو، المقر الأم للرهبنة اللبنانية المارونية أضاء كنيسته في نطاق السنة العالمية للجبال التي تحتفل بها الامم المتحدة ومهرجان البستان على السواء، للتراتيل الليتورجية السريانية والبيزنطية والكلدانية.

كان لا بد من صوت رخيم، وشجي يتآلف وحجارة الكنيسة المخرمة آيات هندسية، للوصول بالالحان التراثية السريانية والعربية الى سمع الله. غادة شبير ليست غريبة عن الينابيع القديمة تلك التي ربطت روافدها الجوفية بالتقاليد الليتورجية السريانية والبيزنطية والكلدانية. ففي جامعة الروح القدس، وفي هذا المختبر التراثي الدقيق لأصالة الالحان وانعاش ذكراها واعادة وهجها الى الطقوس والمناسبات، صقلت غادة العلم والصوت وحازت ماجستير في علم الموسيقى مركزة اختصاصاتها على الغناء السرياني والعربي – الاندلسي.

لهذه الموسيقى المتعددة النمط والاتجاه، رصد مهرجان البستان شموعا دينية، مختارا الارث التاريخي والصوت الملائم له للتعريف بتراث الامس في بلدان الغرب وآخرها بازيليك القديس مرقص في البندقية. والتاريخ المعشش في هذا المقام راويا ثابتا لا يتزعزع، اذ يكفي أن يتأمله الزائر على مسافاته مرصعا كالحلية في قلب التلة الصنوبرية ليدرك معنى الأزل. في القرن الثامن عشر شيده الشيخ هيكل الخازن وكرسه للقديس انطونيوس وأوكل امانته الى الرهبنة الانطونية المارونية. لكن الشيخ سنتو، ابن هيكل الخازن، استرجعه عام ١٧٤٠ من الانطونيين ليجعله أمانة لدى الابرشية الارمنية الكاثوليكية. في تلك الآونة أقام الشاعر البولوني يوليوس سلوفاكي في هذا الدير ونظم تحفته الشعرية "أنها لي".

عام ١٨٦٠، وبسبب الاحداث الدامية التي تسبب بها الاتراك وكان انعكاسها أليما على الرهبان الارمن، فرغ الدير من أهله وأهمل حتى عام ١٨٩٣ وقدوم الرهبنة الكبوشية للاقامة فيه. واذ كتب له ان يهجر مرات ومرات، جاءت الرهبنة المارونية اللبنانية ترمم تاريخه وحجارته وتجعل منه المقر الأم ومكانا للتقوى والتأمل والصلاة.

في هذا الجو المتقشف، المنذور لتعرية الانسان من بريقه واعادته الى حقيقته الاصلية، غنت غادة شبير يرافقها قانون عماد مرقص الرقراق، الخاشع، يقطف المسافات القصيرة بين ترنيمة ورثائية بتقاسيمه العذبة، تاركا للصوت البشري في شفافيته واكتنازه الاصول التقنية والحس الليتورجي، ان يتصاعد صوب القبة العالية، منفردا يتلقاه الصدى الصادر منه توأما رخيما يتعالى معه ويكمل أحيانا كثيرة النغم عنه، فنظل نسمع ما يشبه الوداع.

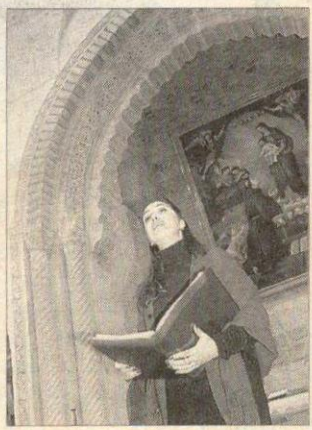

غادة شبير تحت قبة كنيسة مار انطونيوس، غزير، ضمن برنامج مهرجان البستان.

خمس وأربعون ترنيمة مختارة من الطقس السرياني والسرياني – الماروني والسرياني – الارثوذكسي والسرياني – الكاثوليكي والليتورجية البيزنطية، جالت بها غادة شبير كاملة، او في مقاطع منها، على تراث يجمع كنائس متعددة لعبادة واحدة: الله.

صوتها يحمل، رغم العذوبة الشفافة التي أدت بها قائمتها الطويلة قوة تراجيدية مؤثرة وخشوعا شاعريا يخرق النفس الملحدة فيغرس فيها ايمانا.

"يا أم الله"، "انا الأم الحزينة"، "اليوم علق على خشبة"، "لم تتعجبين"، "يا مريم البكر"... وعناوين سريانية لا تحصى. تتغذى نغما وشجوا من بضع نوطات لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة، لكنها مثل خيط على نول، في ذهابه وايابه ألوان وحياكات ننغمس في دفئها، في حزنها، في ابتهالاتها ونصلي.

مي منسى